تحقيقات تاريخية

الأمير سيف الدين
تغرى بردى الاتابكى

والد الأمير جمال يوسف المعروف بابن تغرى بردى المؤرخ المصرى

للاستاذ أحمد رمزى بك

حينما قدمت دار الكتب الجزء الأول من كتاب « النجوم الزاهرة » ، وضعت للمؤرخ ثلاث تراجم نقلا عن القدماء. الأولى من وضع تلميذه أحمد بن حسين التركمانى المعروف بالمرجى ، والثانية عن الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ، والثالثة عن شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى وهو متأخر عن ذلك العصر

وقد جاء فى الأولى :

« هو يوسف بن تغرى بردى الأمير جمال أبو المحاسن بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرى أتابك العساكر المصرية ثم كافل المالك الشامية »

وجاء فى الثانية :

« يوسف بن تغرى بردى الجمال أبو المحاسن الأتابكى بالديار المصرية ثم نائب الشام اليشبغاوى الظاهرى القاهرى الحنفى »

وجاء فى الترجمة الثالثة :

« جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى »

فيفهم من هذا أن والده كان أميراً معروفاً من كبار أمراء الدولة المصرية ، والمطلع على تاريخه يستخلص منه أنه شغل أعلى وظائف الدولة ، من يوم أن عين على رأس نوبة الجمداوية ثم نقل منها إلى نيابة حلب، ثم حصل على رتبة أمير مائة فأمير مجلس فأمير سلاح ومنها عين واليا أو نائبا للسلطنة فى دمشق ، ثم رفع

والقول للزبيدى — وأطلق الآن البلان على من يخدم فى الحمام وهى عامية

وعاد الزبيدى شارح القاموس إلى شرح الكلمة مرة أخرى فى باب النون فقال: «البلان» كشداد أهمله الجوهرى . وقال ابن الأثير هو الحمام ومنه الحديث : ستفتحون بلاداً فيها بلانات أى حمامات قال والأصل بلالات فأبدلت اللام نونا »

هذا وفى عصر المؤلف وهو عصر بنى أيوب شاع استعمال هذه الكلمة بمعنى خادم الحمام أو الدلاك. ومن رأى بعضهم أن أصل الكلمة من اليونانية وإلى هذا ذهب اللغوى العراقى انستاس الكرملى وليس بشىء؛ إذ لا يحامرنى أدنى شك فى عروبة هذه الكلمة. وفى مصر اليوم يقال للماشطة التى تزين العروس ليلة البناء (بلانة) على ما رواه لى بعض أدباء القاهرة

الوقاف : تطلق هذه الكلمة فى العراق اليوم على الرقيب الذى يقف مع الأجير وهو معناها على الظاهر فى عصر مؤلف الكتاب فهى كلمة مولدة وكلمة (الوهين) فى الفصحى تسد مسد هذه الكلمة. قال الفيروزابادى: الوهين رجل يكون مع الأجير فى العمل يحثه عليه

هذا طرف من الألفاظ والمصطلحات اللغوية التى وجدتها فى كتاب تقويم التذييم ولم آت على كل ما يوجد فى تضاعيف الكتاب من هذا القبيل أو من الأوضاع اللغوية التى كانت شائعة فى عصر الدولة الأيوبية . فالكتاب مفيد كل الفائدة لمن يعنى بالبحث عن المصطلحات والألفاظ الحرفية فى العربية الفصحى أو فى اللهجات العربية الشائعة فى أقطار الشرق العربى الآن؛ يستفيد منه مضافاً إلى ذلك من يعنى بتاريخ العمران والحضارة فى مصر الإسلامية

هنا ومن رأيى أن وزارة المعارف تحسن صنعاً إذا عهدت بنشر هذا الكتاب بعد تحقيقه وتهذيبه إلى لجنة من اللجان المعنية بنشر المخطوطات النادرة . والغالب أن الوزارة المشار إليها تعنى الآن بالنظر فى وجوه الاستفادة من هذا الكتاب

إلى رتبة الأتابكية ومات وهو على نيابة السلطنة بالشام

واسم « تغرى بردى » عربق فى تركيبته ، ومعناه « الله أعطى » أو « عطية الله » وهو مأخوذ من طانرى فيردى

وقول المؤرخين الظاهرى نسبة إلى أستاذه العظيم الملك الظاهر برقوق

وجاء فى الضوء اللامع نقلا عن ابن خطيب الناصرية أنه « كان عنده عقل وحياء وسكون » ثم ذكر السخاوى أنه انضم إلى الأمير « ايتمش » فى خروجه بالشام ، وأرجح أنه انضم إليه بحكم الجنسية التركية على رغم قرابته لبيت الظاهر برقوق

ولقد دهشت لما قرأت فى ترجمة ابنه صاحب المنهل الصافى والنجوم الزاهرة ، وفى كتب الإفرنج والمشتغلين بالتاريخ الإسلامى من المتأخرين ، تفسيرهم لكلمة الرومى باليونانى

١ — فقد ورد فى كتاب تاريخ المماليك للسير وليم موير فى مقدمة المؤلف صفحة ٧ ما يأتى :

« أما أبو المحاسن فقد عاش بعد المقريزى ثلاثين سنة وهو ابن الأمير تغرى بردى الذى كان مملوكا يونانيا للسلطان برقوق »

٢ — وذكر الأستاذ أنور زقلمة فى كتابه عن تاريخ المماليك « أن الأمير تغرى بردى كان مملوكا يونانيا »

٣ — كما جاء فى الصفحة ٢٦ من كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة عن مؤرخى القرن الخامس عشر عند كلامه عن صاحب النجوم الزاهرة لفظ يونانى بين قوسين

وتكلم عن بعض سلاطين دولة الأمراء الجراكسة فى محاضرة له بجمعية الدراسات التاريخية فنسب بعضهم إلى أصل يونانى

وتحميل لفظ الرومى على أنه يونانى لا يتفق مع ما هو متداول فى ذلك العصر لأن أرض الروم هى آسيا الصغرى ، وكان يطلق على سلطان المسلمين هناك ملك الروم ، هكذا ورد فى أيام السلاجقة وآل عثمان

ويظهر لنا جليا أن آسيا الصغرى كانت منذ القدم موطنا للشعوب الآسيوية لا الروم ، وفى العهود التى عاش فيها تغرى بردى ، كانت آهلة بالعناصر التركية والتركمانية ، حتى قبل مجىء العثمانيين واستيلائهم على ربوعها وأقطارها ، وكان يطلق على المسلمين من سكانها أهل الروم وهم ليسوا بروم ، وإلا كان جلال الدين الرومى بمجرد نسبته للروم يونانيا ، وآباؤه وأجداده فى أواسط آسيا ، ومكانته فى الشعر الصوفى وأثره فى العالم معروفان

أما تغرى بردى فيكفى استعراض تاريخه واسمه للحكم على تركيته الصافية ، ولا صلة له بالإغريق واليونان

ويظهر من تتبع أحواله أنه كان على صلة وثيقة بالملك الظاهر برقوق ، لأن المؤرخين ذكروا أن برقوق تزوج الأميرة شيرين الطويلة الرومية ، وهى ابنة عم تغرى بردى ، وقد ولدت له ولده الذى أسماه (بلاق) ومعناه كما فهمت بالتركية « فتنة » ويظهر أنه ولد فى إبان محنة ألمت بوالده فلما زالت أسماه « فرجا » بالعربية وهو الذى تولى السلطنة بعده تحت اسم السلطان فرج

وقد صاهر السلطان فرج ابن عم والدته أى الأمير تغرى بردى على ابنته الكبرى ، أما بناته الأخر فقد صاهره عليهن الأمير آقبغا التمرازى الذى جمع بين الأتابكية ونيابة السلطنة ، وصاهره الأمير يشبك بن أزدمر الظاهرى على إحدى بناته الصغار ، والذى وصل إلينا عن زوجاته اثنتان

الأولى ابنة الأمير تمربغا الحسنى الذى تولى نيابة سيس ثم حجوبية الحجاب وتوفى سنة ٧٩٢ والثانية ابنة الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى محمد بن حاجى بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون

فأنت ترى علاقات المصاهرة والقرابة والنسب بين الأتابكى تغرى بردى وكبار البيوتات التى كانت فى عصره ، لتحكم على منزلته العالية وأن مكانته فى الصفوف الأمامية ، ولا يمكن أن تسلم أتابكية العساكر الإسلامية لمن لم يكن فى أرومته ، والكلام عنه لا ينفى أن نذكر كلمة عن ابنة عمه الأميرة شيرين زوجة السلطان برقوق ، وهى التى اشتهرت بجمالها وعفتها وكانت الخوند الكبرى فى عصرها ولذلك أسكنها السلطان قاعة العواميد بقلعة

مصر ، كما اتفق أصحاب السير على أنها سارت فى حياتها سيرة محمودة مقترنة بالحشمة والرياسة والكرم مع التواضع الزائد والخير والتمسك بالدين ، وهى ذكرى تملؤنا الكثير عن طيب عنصر أصلها وأصل الأمير تغرى بردى والد صاحب النجوم الزاهرة

ولا يشبع الباحث من سيرة هذه الأميرة الجليلة ، بل إن الحديث عن مآثرها وأياديها على الفقراء وما قامت به من أعمال البر وتجديد الرباطات على طريق مكة وما وقفته من الأوقاف وما أصلحته من المبانى ، طويل لا يتسع له المجال

أما تشعب عائلة تغرى بردى واتصالها بالناس فأمر طويل يحتاج إلى تتبعها وقيد الكثير من السير فى مختلف المراجع ، وأهمها الضوء اللامع الذى أرخ لبعض أفراد العائلة حتى عهد قايتباى إذ ذكر محمد بن سنقر القادرى ابن عمة أبى المحاسن ، وأرخ وفاة ابنة الأنابكى آقبغا التمرازى وهى ابنة أخت المؤرخ

ويظهر من كلام السخاوى أن جامع السلطان برقوق بالصاغة يحتوى على رفات عدد من أولاده وأحفاده غير أولئك الذين دفنوا بمدرسته المشهورة بالصحراء بجوار تربته : كما تبين لنا صلة بيت برقوق بعائلة تغرى بردى وإن كانت أسرة برقوق تنحدر من أصل جركسى عريق والثانية من أصل تركى فى آسيا الصغرى

والذى أقلقنى فى ترجمة الأمير سيف الدين تغرى بردى النسبة الآنية التى جاءت على ثلاثة أوجه : الشبناوى الكشبناوى والقشبناوى

والذى أعرفه أنه لم يرد تحت نسبة كش بغا ومعناها « الثور الفضى » غير الأمير سيف الدين يعقوب شاه الكشبغاوى الظاهرى وترجمته فى المنهل الصافى وكان أمير ألف وقتل سنة ٨٠٢ كما له ترجمة فى الضوء اللامع وكان تركى الأصل مقداما جميل الصورة ، حسن القامة ، انضم إلى « ايتمش » وآل أمره إلى أن قتل بقلعة دمشق ، أى بعد أن انضم إلى الحزب الذى كان فيه تغرى بردى ولولا علاقة الأخير بالبيت المالك لكان نصيبه نصيب هذا الأمير أى القتل . ولذا استبعد موضوع النسبة إلى كشبغا هذا .

ولكن ابن الفرات الذى استعمل أولا لفظ كشبغا عاد فاستعمل لفظ قشبغا وإليك النصوص :

عند خروج السلطان برقوق إلى الريدانية ترك بالقلعة من مماليكه نحو الستمائة مملوك عندهم الأمير تغرى بردى من كمشبغا رأس نوبة . صفحة ٢٥٩ جزء ٨

أنعم الملك الظاهر على الأمير تغرى بردى من قشبغا ص٣٠٦ أحد أمراء الطبلخانات بتقدمة ألف

جاءت الأخبار فى ذى الحجة سنة ٧٩٦ إلى الديار المصرية بأن السلطان الظاهر خلع على الأمير سيف الدين تغرى بردى من قشبغا واستقر فى السلطنة بحلب عوضا عن الأمير سيف الدين الكمشبغاوى صفحة ٣٧٨ جزء

فاشتراك الأميرين الكبيرين تحت اسم سيف الدين جعل المؤرخين يخلطون بينهما وينسبون كلا منهما إلى أنه الكمشبغاوى

ويستمر ابن الفرات لغاية ٨ رجب ٧٩٧ حيث يقول خلع الملك الظاهر على الأمير سيف الدين نوروز الحافظى واستقر رأس نوبة صغير ثانى عوضا عن الأمير سيف الدين تغرى بردى من قشبغا

وإلى أن نجد اسم كش بغا الذى نسب إليه أو يشبعا تبقى هذه الشخصية غامضة

أحمد رمزى

المدير العام
لمصلحة الاقتصاد سابقا

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى .

تطلب من مجلة الرسالة وثمنها ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد